

صانع حرير حوّل منزله متحفاً بعدما طال انتظاره لديدان القز في سوريا

2020-07-16 وكالات

بعدما طال انتظاره لديدان القز التي غيبتها سنوات الحرب وكان اعتاد تربيتها والعناية بها واستخراج الحرير منها، قرّر محمد سعود الاحتفاظ بورشته وتجهيزاتها وتحويلها متحفاً في وسط سوريا، على أمل أن تنبض مجدداً بالحياة.

وقسّم محمد سعود (65 عاماً) منزله إلى جزأين: قسم مخصص لإقامته مع عائلته بينما حوّل الآخر، وهو الأكبر، إلى متحف واسع يختصر كل مراحل صناعة الحرير التي تُعرف بها بلدته دير ماما في ريف حماه (وسط).

في باحة المنزل الكبيرة، ترك سعود بعض شرائق الحرير التي تشبه البيوض الصغيرة داخل أوعية، وعجلة خشبية كبيرة تدور بشكل يدوي يصنع من خلالها خيوط الحرير بعد تجميعها، ويقول لوكالة فرانس برس "لا يوجد في سوريا إلا ثلاث عائلات تمتهن هذه الصنعة، واليوم أقاتلُ وحيداً في بلدي من أجل إبقائها على قيد الحياة".

والتقت فرانس برس سعود قبل عشر سنوات، وتحدث حينها عن 48 عائلة في 16 قرية تعمل في زراعة دودة القز. وبلغ إنتاج عائلته العام 2010 أكثر من 35 كيلوغراماً، قبل أن يتوقّف بشكل شبه كامل نهاية العام 2011 مع بدء النزاع في سوريا. وقد أنتجت البلاد 3,1 طن من الحرير العام 2010.

واعتادَ الرجل أن يعمل مع زوجته وأبنائه الثلاثة في زراعة شجر التوت الذي يعيش عليه دود القز، ثم إنتاج الشرائق لاستخراج خيوط الحرير منها، وحياتها على مغزل خشبي قديم، لتخرج في النهاية قطع قماش أو ملابس مصنوعة من الحرير الطبيعي بشكل كامل، ويضيف محمد الذي يلقب بـ"شيخ كار" صناعة الحرير "قررت أن أحوّل منزلي إلى متحف عندما أدركتُ أنه يضم جميع مراحل صناعة الحرير، حتى يغدو نقطة سياحية يزورها كل من يطلب الحرير ويحبّه"، ويجلسُ محمد خلف مغزل خشبي (النول) وينسج بيديه أمام الكاميرا بعضاً من خيوط الحرير التي احتفظ بها، وتترين

الجدران حوله بأقمشة حرير من حياكته. وبمهارة عالية، يلف الخيط على يديه، ويحرك أصابعه ورجليه على المغزل الخشبي بشكل متناسق، ويكمل قطعة قماش بدأها قبل أشهر.

ميتة سريراً

وتعتبر بلدة دير ماما واحدة من أشهر البلدات السورية التي كان معظم سكّانها قبل الحرب يعملون في مرحلة من مراحل صناعة الحرير. واشتهرت بزراعة شجر التوت على مساحات واسعة، وتحوّلت مقصداً لعشاق الحرير الطبيعي.

ورغم أنه فتح أبواب متحفه مجاناً وعلّق لوحة كتّب عليها "أهلاً بكم في معرض الحرير"، لكن أحداً لم يترك الباب طيلة سنوات الحرب التي دمرت اقتصاد البلاد. وكانت المجموعات السياحية تشكل أبرز أسواق التصريف لمنتجات الحرير الطبيعي.

ويقلّب محمد، أو أبو علي، كما يحلو لمعارفه مناداته، صوراً قديمة التقطها مع زوّار أجانب ومقالات كتبت عنه. ويقول "كان اعتمادي الأساسي على السياح، فهم من يستطيعون تحمل دفع ثمن الحرير(..). اليوم لم تبق لي إلا الذكريات".

وسط عشرات الأقمشة المكدسة فوق بعضها البعض، يشرح أنّ "الحرير من الكماليات قياساً بواقع الأزمة التي نعيشها، ويحول ارتفاع ثمنه دون الإقبال على شرائه"، ويوضح أنّ الحرفة أشبه "برجل مريض كنا نأمل أن يتماثل للشفاء، لكن جاءت الحرب وأطلقت رصاصة الرحمة علينا قبل أن تطلقها على مهنتنا".

ويقول بحسرة "أقاتلُ وحيداً من أجل إحياء هذه المهنة.. بعدما باتت ميتة سريراً. نحتاج يد السماء أن تمتد إلينا لتنقذ هذه المهنة"، ويعدّ البروكار الدمشقي الذي ينسج يدوياً من الحرير الطبيعي وخيوط الذهب، من الأقمشة الذائعة الصيت في العالم، خصوصاً بعدما أهدى الرئيس السوري السابق شكري القوتلي قطعة منه العام 1947 لملكة بريطانيا إليزابيث الثانية يُروى في سوريا أنها استخدمتها في صناعة ثوب زفافها.

وؤؤؤ البآآ في الآرآ اللامآى ورؤس فرع هؤة آنفىذ المآرآع السىآآة مرهف رآم لفرانس برس أن "المشكلة لىست فى الإنآآ، فهناك مآآ القآع الآهزة آنآظر زبآئها"، وىقول "المشكلة آنآص فى عملآة الآصرف والآسوق، فآىاب الآرفر لىست أولوىة الؤوم بالنسبة إلى السورىن"، مضىفا "قبل الآرب، كان السىآح ىستهلكون الآزء الأكبر من الإنآآ، وكنا نصدر كمىآ كبرىة إلى لبنان والآلىع العربى".

وانعكس آدهور القآع السىآآى بشكل سلبى على الصناعات الآقلدىة والآرفىة. وكانت السىآة آشكل ما نسبته 12 فى المئة من إآمالى النآآ المآلى قبل النزاع قبل أن آنوقف آماماً، فى دىر ماما، آقول أمل، زوجه مآم الذى بدأآ قبل أسابىع آىآة قآعة آرفر آن لا آنسى آقنىة الآىآة، "أعزل لآآسلى ولآبقى أصابعى طرىة، أآشى أن أنسى الآىآة مع مرور الوقت"، وآشفر المرأة التى وضعت شالا من الآرفر الأبيض على كآففىها، بآزن، إلى كرم الآوت الصامد قرب منزلها، موضآة "وآدنا نحن الذىن لا نزال نزرع الآوت، لكننا هذه السنة أطعمنا ورقه للماعز بدل دىدان القز".